البروفيسور معز الخلفاوي (جامعة توبنغن الألمانية)لـ « الصحافة اليوم» 1 - 2:

اليوم أكبر الأسئلة لا يطرحها المسلمون،

معز خلفاوي أستاذ القانون الاسلامي بجامعة توبنغن(ألمانيا). زاول تعليمه الابتدائي والثانوي بالقلعة الخصبة والجامعي والتبريز بتونس. عمل مدرسا للتعليم الثانوي واشتغل بالصحافة. أنجز بألمانيا رسالة الدكتوراه سنة 2007 عن تطور التشريع الاسلامي في علاقته بغير المسلمين في الهند، حيث أنفق وقتا في العمل الميداني. اشتغل بالعمل الدبلوماسي لثلاث سنوات كما اشتغل على البرامج والكتب المدرسية.

ويعتبر الخلفاوي من أول المبادرين بتأسيس معاهد التعليم الإسلامي في أوروبا منذ 2011 ، وهي معاهد تركّز على مبدإ فتح النص الديني على علم الاجتماع والثقافة والتاريخ والعلوم الصحيحة. وتعتبر التجربة الألمانية في هذا المجال رائدة في تصدّيها للتطرّف والغوغاء بفتح العقول على ايجابيات النص وجعله قابلا للفهم. نشر إلى جانب رسالة الدكتوراه عن الفقه الهندي، كتابا عن أخلاق العمل في الإسلام و كتابا عن الإسلام والمسلمين في أوروبا وكتابا عن تحدّيات الفقه في العصر الحديث. وله كتابان قيد النشر عن التشريع الاسلامي في أوروبا والتعددية في الاسلام. كما نشر عددا كبيرا من المقالات العلمية حول المسائل الاقتصادية والاجتماعية في علاقة بمعضلات الفقه الإسلامي والتعليم الديني وحضور المسلمين في أوروبا .

هنا حوار مع مواطن عالمي وعالم جليل يقيم في أربع لغات ويحاضر بها(العربية والألمانية والفرنسية والأنقليزية والأوردية) :

كيف تقاربون أزمة الرسوم الكاريكاتورية التي شهدنا أخيرا فصلا دمويا منها أخيرا ؟

أولا مسألة الرّسوم الكاريكاتورية كان منتظرا أن تشهد مثل هذا التوتر وأتوقع شخصيا أن تعرف مزيدا من التطور التراجيدي، للأسف. لابد هنا من الإشارة أولا إلى أن كلّ ممارسة للعنف ومهما كانت مبرراتها مرفوضة، ومهما كان الموضوع ومهما كان الطرف، وأن حرّية التعبير ركيزة أساسية للحياة، وأول من يحتاج حرّية التعبير هم المسلمون، سواء في بلدانهم أو الأقليات المسلمة في أوروبا. لا يمكن لحرية التعبير أن تتجزأ. لذلك نأسف بكلّ شدة لما آل إليه الموضوع والوضع عموما. كما قلت هذا الموضوع ترجع بدايته إلى العصر الأموي، أي القرن الثاني الهجري عندما ظهرت فكرة تحريم التصوير والتجسيم. ويذهب رودي باريت Rudi Paret اهم من بحث في هذا الموضوع، إلى أنّ المسلمين لم يعجبهم مبالغة المسيحيين في تصوير عيسى المسيح وخافوا أن يحصل ذلك للرسول محمد فنشأت فكرة التحريم، رغم أنّ النص القرآني لا يتحدّث عن تحريم وأنّ الرسول في حياته دعا فقط إلى تجنّب الصور في أماكن الصلاة.

أنا أهتمّ أولا بما يتعلق بالمسلمين، أي بوجهة نظر عامة المسلمين في مجتمع ديمقراطي يحترم التديّن والأديان. هنا يجب التنبيه إلى وجود خلط كبير لدى العموم في ما يتعلق بموضوعين. أولا هناك اعتقاد شعبي عمومي هو أنّ الإسلام يحرّم الفن والتصوير والموسيقى. الموضوع الثاني يتعلق بتحريم تصوير النبي محمد (ص) وغيره من الشخصيات الإسلامية. ما هو السبب؟

السؤال الذي أطرحه دائما مع طلبتي وزملائي هو: ماذا كان الرسول محمد (ص) وغيره من الأنبياء والشخوص سيفعلون لو كانوا في عصرنا، يعيشون بيننا؟ وكيف كان سيتصرّف؟ هل سيحرّم على نفسه الصور الفوتوغرافية وجواز السفر؟ كيف سيتصرّف الانبياء والصالحون؟ نحتاج في هذا المجال الى بحث علمي رصين، أكثر من التراشق والتحريش، نحتاج بحثا علميا دقيقا في هذا المجال. الدراسة الوحيدة المقنعة التي تُقرأ في هذا المجال قام بها البروفيسور رودي باريت من جامعة توبنغن منذ 50 عاما. أكدت هذه الدراسة أنّ النصوص القرآنية لا تحرّم التصوير وأنّ نصوص الحديث في اختلاف وتباين في المواقف. كما ذهبت الدراسة إلى أنّ تحريم الانسان وتجسيمه جاء في الفترة الأموية، تحت وطأة أو بالأحرى ردّا على مبالغة مسيحيي الشرق في تصوير المسيح عيسى ابن مريم، هذه المعلومات وغيرها تحتاج باحثين مسلمين يتصدّون لتأكيدها أو نفيها. ثانيا في ما يتعلّق بتصوير الرسول، يبدو أنّ المسلمين قد اكتشفوا نقطة ضعفهم ويقومون بالترويج لها دون وعي، وهي مسألة تصوير الرّسول، لذلك نشأت فوبيا جديدة لم تكن موجودة. أذكر في هذا الصدد أنّ أستاذ التربية الاسلامية في الفصل الثانوي الثالث قد طلب منّا يوما، في درس صفة محمد، وبعد أن سرد علينا أوصاف النبي، شعره، وبشرته وعينيه كما تسردها المصادر، طلب المدرّس يومها أن نحاول رسم الرّسول محمد. احتار كثير منا، وبادر بعض الى التصوير، واكتفى الآخرون بالمتابعة. جمع الاستاذ ما توفّر من صور، قام بتمزيقها كلّها أمامنا وقال كلّ التصاوير خاطئة، لأن لا أحد يقدر على تصوير النبي محمد...فكففنا عن الخوض في الموضوع فرحين بما قال وثبت في عقولنا من يومها أنّ ما نراه من صور ليست للنبي محمد، فكفانا ذلك شرور أنفسنا.

الجواب عن السؤالين المرفوعين هو أنّ دور الفن في مجتمعاتنا الحديثة أصبح لا يقاس، الفن حياة، ولا حياة دون فن، لا يمكن تصوّر الحياة دون متاحف ومسارح ومراقص وفنون، أين سيذهب الناس؟ أين سيذهب الصغار والكبار، المتديّن والملحد في هذا سواء. الفن اليوم علاج للفرد والمجموعات، الفنون بكل أنواعها هي اليوم علاج مجتمعاتنا المريضة. الفن يحتاجه المؤمن والملحد على قدم سواء.

ماهو حاصل أن ما حدث ويحدث في فرنسا هو مجرّد فصل من فصول العلاقة المتوتّرة بين الدين والدولة في عصرنا الحديث، هذه العلاقة عرفت أطوارا مختلفة ولها أوجه كثيرة. توجد على الأقل ثلاثة نماذج لفهم هذه العلاقة في الغرب. النموذج اللائكي الرافض لكلّ ما هو ديني، وأبرز أمثلته فرنسا وبعض دول البنلوكس. يوجد النموذج البريطاني حيث يمثّل رأس السلطة السياسية كذلك رأس المؤسسة الدينية وهو نموذج يترك حرية كبرى لكل ما هو ديني، ويوجد نموذج ألمانيا وبعض الدول الاخرى وهو يقوم على علاقة تعاون بين المؤسسة الدينية والدولة. هذا النموذج الأخير يحاول مقاربة العامل الديني بحياد مؤسسات الدولة من جهة وتصدّي المسلمين بأنفسهم لتنظيم حياتهم، كما قلت هذا النموذج يقبل التعايش مع الدين، وهو اليوم رائد في العالم، وليس المجال هنا لسرد أطول. النموذج الفرنسي أثبت فشله في التعاطي مع المسألة الدينية منذ مدّة. وهناك اختلاف داخلي هناك بين مفكّرين وزملاء أكاديميين يريدون حلحلة الوضع ولكن يجدون تصلّبا من قبل ايديولوجيا الدولة. لذلك للأسف لا تملك الدولة هناك احصائيات عن عدد المساجد ولا من فيها ولا يعرف المسلمون أنفسهم ما يدور هناك لانعدام التنظّم القانوني. التعليم الديني أمر مهمّ وخطير جدا لا يمكن تركه للهواة والغرباء، كنّا دائما ننبّه الزملاء الفرنسيين لهذا، لذلك أتصور أنّ فرنسا حاجة إلى مراجعة سياستها الدينية من أجل تأطير المسلمين وأن يكون التعليم الديني تحت رعاية الدولة ولا يترك لمن هب ودبّ. بقي أن

←